لا يخفون على رسول الله ﷺ شيئاً كان بمكة)[1](كانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ من أهل تهامة)[2] فهم موضع ثقة عند الطرفين، ولم يكتف ﷺ باختيار رسوله بدقة، بل اختار له راحلة مميزة.. لقد أركبه ﷺ على جمله، ثم أمره بالانطلاق، فانطلق ليخبر قريشاً أن:

النبي ﷺ يعرض هدنة وقريش تريد قتل رسوله

(بعث ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة، وحمله على جمل له يقال له: الثعلب. فلما دخل مكة عقرت به[3] قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابش حتى أتى رسول الله ﷺ)[4] ولولا الله ثم تدخل الأحابش لهلك خراش، لأن الأحابش وهم حلفاء لقريش فكروا بالعار الذي يجلبه قتل رسول. أما قريش فقد أعماهم الكفر والحقد في ساعة غضب، فضربوا بكل شيء عرض الحائط.

عاد خراش سليماً معافى، وجاءت كوكبة من الفرسان من قوم خراش.. هل كانوا يريدون نصر خراش، أم ماذا؟

من هؤلاء الفرسان وماذا يريدون

إنهم رجال من بني خزاعة، وقائدهم اسمه (بديل بن ورقاء الخزاعي) وكانوا من الرجال الذين يُظهرون النصح لرسول الله ﷺ، وهم وقومهم خزاعة محل ثقة النبي ﷺ (فلما اطمأن رسول الله ﷺ إذا بديل بن ورقاء في رجال خزاعة، فقال لهم كقوله لبشير ابن سفيان)[5] فقد (جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة[6] نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه[7] الحديبية ومعهم العوذ المطافيل[8]، وهم مقاتلوك، وصادوك عن

---

(١) حديث حسن وهو حديث أحمد الطويل وقد مر معنا (٤/٣٢٤).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣١).
(٣) قطعت إحدى قوائمه.
(٤) حديث حسن وهو حديث أحمد السابق.
(٥) حديث أحمد وهو حسن وقد مر معنا (٤/٣٢٣).
(٦) أي أن النبي ﷺ يثق بهم وهم أهل ثقة ونصح له.
(٧) العد هو الماء الذي لا ينقطع.
(٨) أي معهم الإبل ذوات اللبن والأمهات بأطفالهن.

البيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة[1] ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[2] ولينفذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه شيئا.

وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: (يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه، فاتهموهم)[3] أي اتهموا النبي بالتخطيط لحرب.

ثم إن النبي ﷺ أراد أن يبعث رجلاً مسلماً له مكانته ويستطيع بيان رسالته (فدعا ﷺ عمر ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني: عثمان بن عفان؟

فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، فخرج عثمان بن عفان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد ابن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به. فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل)[4].

---

(١) جعلت بيني وبينهم مدة من الزمن لا حرب فيها. ومعنى جموا: استراحوا من الحرب.

(٢) أي حتى أقتل.

(٣) ما بين الأقواس الصغيرة عند أحمد وهو الحديث السابق وهو حسن.

(٤) حديث حسن وهو جزء من حديث أحمد وهو حسن وقد مر معنا ٤-٣٢٣.

قتل عثمان واستعد عمر

إشـــاعة حولت الحديبية إلى ســـاحة للموت والفداء، فكان عمر بن الخطاب أول الناس اســـتعداداً للموت، ربما لشعوره أنه ساق عثمان إلى حتفه.. ها هو يلبس لباس الحرب، ويستدعي ابنه عبد الله ليأمره بإحضار فرس له عند أحد الأنصار، وليستفسر عن سبب ذلك الزحام على بقعة من أرض الحديبية.

اســـتجاب الفتى البار لأبيه وتوجه نحو ذلك الأنصاري لأخذ فرس أبيه التي يريد القتال عليها، لكن ذلك الشاب الصغير أُخذ بمشهد الزحام الذي كان في طريقه.. كان هناك شجرة تحت ظلالها كان الزحام، وتحت ظلالها كان النبي ﷺ، أما سبب الزحام فهو دعوة النبي ﷺ إلى: البيعة.

متى كانت البيعة تحت الشجرة

يقول شاب حضر تلك البيعة: (كانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة)[1] فجمعهم ﷺ تحت الشجرة، حيث النبوة والرحمة والأرواح هدايا.

اقتـــرب عبد الله بن عمر فتى مأخوذاً بمشـــهد الفـــداء، فوجد الصحابة رضي الله عنهم يهدون أرواحهم، فيهديهم الله رضاه إلى يوم القيامة.. أحب أن ينافســـهم وإن كان من أصغرهم، وبدلاً من أن يحضر الفرس لأبيه رضي الله عنه أحضر مهجته لنبيه ﷺ.. زاحم الجميع، ثم مد يده الصغيرة وعيناه معلقتان بحبيبه فبايعه (على الصبر)[2] ثم انفتل نحو مهمته الأولى، فتوجه نحو أخيه الأنصاري فأخذ فرس أبيه وقادها نحوه، فوجد أباه لا يعلم بعد عما يحدث.. إنه مشغول بالاستعداد للحرب.

يقول ذلك الفتى: إن (عمر يوم الحديبية أرســـل عبد الله إلى فرس له عند رجل مـــن الأنصار يأتي به ليقاتل، ورســـول اللـــه ﷺ يبايع عند الشـــجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلئمُ[3] للقتال

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٦٩٨).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٥٨).

(٣) يلبس لأمة الحرب.

فأخبره)[1] بعد أن استغرب عمر ذلك الزحام تحت تلك الشجرة بالذات بالرغم من وجود أشجار أخرى كثيرة، فـ (الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ. فقال: يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ..؟

فوجدهم يبايعون، فبايع ثم رجع إلى عمر، فخرج فبايع)[2] وقد تكون بيعة عمر على الموت، فالبيعة تحت الشجرة ذات ألفاظ عدة، لكن كل تلك الألفاظ تعني الجهاد مع النبي ﷺ حتى النصر أو الشهادة.

ها هو جابر يتقدم ويبايع، فيسأله رجل فيما بعد عن بيعته فيقول: (بايعناه على ألا نفر ولم نبايعه على الموت)[3] أما عبد الله بن عمر فبايعه على (الصبر)[4].

تسابق الصحابة وازدحموا يبايعون النبي ﷺ.. أكثر من ألف وأربعمائة صحابي يبايعونه على التوالي.. شاهد عمر ذلك الزحام، فأحب أن يعين نبيه ﷺ، فأخذ بيده.

يقول جابر: (كنا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة)[5] وإذا كان عمر قد أشفق على نبيه من الوقوف والتعب، فإن صحابياً آخر اسمه (معقل بن يسار) أشفق عليه من أغصان الشجرة لا تؤذيه، فقام برفعها عن رأسه.

يقول رضي الله عنه: (لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا أرفع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، ولم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على ألا نفر)[6]

لكن بعض الصحابة بايعوا على الموت.. ها هو أحدهم اسمه: عبد الله بن زيد (وكان شهد معه الحديبية)[7] فبايع النبي ﷺ على الموت، ثم قال فيما بعد: (لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ)[8].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٨٦).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٨٧).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم - الإمارة.
(٤) البخاري (٢٩٥٨).
(٥) حديث صحيح رواه مسلم - الإمارة.
(٦) حديث صحيح رواه مسلم - الإمارة.
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٦٧).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٥٩).

وهذا صحابي آخر: خصه ﷺ ببيعة على الموت، ودعاه لها فاستجاب فمد له (يداً ضخمة كأنها خف بعير)[1] اسمه (سلمة بن الأكوع) فارس لا يقهر، وصلب لا يكسر.

يقول رضي الله عنه: (بايعت النبي ﷺ، ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قلت: قد بايعت يا رسول الله. قال: وأيضاً فبايعته الثانية)[2] (على الموت)[3].

هل اكتفى رسول الله ﷺ ببيعته الثانية، يبدو أن الأمر غير ذلك، فقد ميز النبي ﷺ صاحبه سلمة بن الأكوع ببيعة لم تكن لأحد غيره، وللنبي ﷺ أسلوبه الرائع في تكريم أصحابه وتفجير طاقاتهم، وإبراز نقاط القوة في كل فرد منهم، وقد أثمرت تلك البيعات، فحولت سلمة بن الأكوع إلى كتلة من الحماس، فـ:

ماهي بيعة سلمة المميزة

يقول سلمة رضي الله عنه: (قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية[4]، فإما دعا وإما بصق فيها، فجاشت[5]، فسقينا، واستقينا، ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط الناس، قال: بايع يا سلمة. قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس..؟ قال: وأيضاً.

ورآني رسول الله ﷺ عزلاً «يعني ليس معه سلاح»، فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أو درقة[6]، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تبايعني يا سلمة؟ قلت:

---

(١) رواه ابن سعد ٤-٣٠٦ وسعيد بن منصور: حدثنا عكاف بن خالد حدثني عبد الرحمن ابن زيد العراقي قال: أتينا سلمة بن الأكوع فأخرج لنا يداً. وهذا السند خطأ والصواب عطاف بن خالد وهو حسن الحديث التقريب ٣٩٣ حدثني عبد الرحمن بن رزين الغافقي وليس زيد العراقي. وعبد الرحمن قال عنه الحافظ: صدوق والأصوب أنه مقبول عند المتابعة لأنه لم يوثقه إلا ابن حبان فالسند حسن إليه.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٦٠).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٦٠).

(٤) حافة البئر.

(٥) فارت وفاضت وامتلأت.

(٦) ترس من جلد.

قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس..؟ قال: أيضاً. فبايعته الثالثة.

ثم قال لي: يا سلمة: أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟ قلت: يا رسول الله.. لقيني عمي عامرٌ أعزلاً، فأعطيته إياها.

فضحك النبي ﷺ وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إليّ من نفسي)[1].

باع الصحابة أرواحهم، وتحت شجرة السمر تلك حل رضوان الله على الذين بايعوا، فسميت بيعة الرضوان.. حيث بايع الجميع إلا رجلين:

رجل من أفضل الصحابة وأكرمهم هو: عثمان بن عفان رضي الله عنه فـ:

لماذا تخلف عثمان عن البيعة

باختصار، لأنه هو السبب الأول لتلك البيعة، بعد أن وصل خبر اغتياله على أرض مكة، لكن يبدو أن الخبر لم يتأكد لديه ﷺ، ولذلك قام بعمل هو تكريم لعثمان، وبيان لمنزلته لدى النبي ﷺ.

يقول الشاب المجاهد عبد الله بن عمر: (كانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان)[2].

هذه هي منزلة عثمان لدى النبي ﷺ، وهذا هو مدى ثقته به وبإيمانه، وهذه هي المسافات التي قطعها في قلب نبيه.

أما الرجل الثاني الذي لم يبايع فمن الأنصار واسمه (جد بن قيس بن الأنصاري) وهو خال جابر بن عبد الله.

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٧).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٦٩٨).

يقول جابر: (كنا أربع عشـــرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشـــجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره)[1] ولا أدري ما سبب اختبائه..؟ لكنه خسر خسارة عظيمة، وتخلف عن رضوان يظله طوال حياته!! ربما كان الخوف والجبن سبباً لتخاذله ذلك، وربما كان السبب أمراً أخطر، لكنه خسر لا شك.. لا سيما والخطر الداهم قد أطبق من كل اتجاه على المؤمنين، فقد خرجت قريش ومن معهـــا نحو الحديبية لإيقاف النبي ﷺ، أو حربه إن اســـتدعى الأمر، وجد بن قيس قد خسر في الحالتين، فالصحابة لن يفروا مهما كان الثمن، وقد تأهبوا للأعداء.

قريش تحاصر الحديبية

بعد انتهاء المؤمنين من البيعة امتلأت جوانب الحديبية بجيش الشـــرك، فاستعد المؤمنون لهم، واســـتعدوا للشـــهادة، أما النبي ﷺ فكان بينهم يتجول.. يتفقد وينظم، ويصلح من أحوالهم.

ها هو يحذرهم، فيقول: «لا توقدوا ناراً بليل»[2].

ويواصـــل ﷺ تفقده لأصحابه، فيمر على رجل يوقد النار نهاراً تحت قدر لأصحابه، لكن منظر شعره ولحيته لا يسر. اسمه (كعب بن عجرة) وهو يحدثنا فيقول أن (النبي ﷺ مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم، وهو يوقد تحت قدر، والقمل يتهافت على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك هذه؟ قال: نعم)[3]

انصرف النبي ﷺ من عنده لا يدري ما يقول له، فنزل جبريل عليه السلام بقرآن يتلى، واشتد الوجع بكعب بن عجرة، فنزلت رحمة الله على كعب ومن يأتي بعد كعب.

يقول رضي الله عنه: (كنا مع النبي ﷺ ونحن محرمون، وقد حصرنا المشـــركون، وكانت لي وفرة[4]، فجعلت الهوام تساقط على وجهي. فمر بي النبي ﷺ، فقال: أيؤذيك

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم - الإمارة.

(٢) سنده قوي رواه الأئمة أحمد ٣-٢٦ وغيره من طرق عن طريق محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أبيه عن أبي سعيد. ومحمد وأبوه صدوقان. التقريب ٥١٣ و٢٥٦.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم -الحج.

(٤) الشعر إذا وصل شحمة الأذن، والجمة إذا تناثر على الكتفين.

هوام رأسك؟ قلت: نعم. وأنزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾)[1] وهذه الآية (نزلت فيَّ خاصة وهي عامة لكم. حملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي «فوقع القمل في رأسي ولحيتي وحاجبي وشاربي»، فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى، أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى، تجد شاةً؟ فقلت: لا، قال: فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع)[2]. (فدعا ﷺ الحلاق فحلق رأسه)[3] فارتاح من القمل والوجع، وشعر برحمة الله وفضله حيث جعل له بعد الضيق فرجاً وفرحاً، وحكماً جديداً يتيح للمحرم بالعمرة أو الحج أن يحلق شعر رأسه بعد أن يذبح فدية.

فرح كعب كفرح رسول الله ﷺ بعودة عثمان، الذي عاد دون أن يمس بأذى.. عاد عثمان لكن قريشاً لم تعد، بل انحدرت معها ثقيف من الطائف.. يقودهم (عروة بن مسعود الثقفي) عم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقد شارك عروة قريشاً بكل ما يملك.. جاء بأهله وولده وبعض أهل عكاظ، ثم قال لقريش: (إني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا[4] علي، جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني)[5].

لم تأتِ الطائف فقط لنصرة قريش.. ها هم حلفاء آخرون لقريش يسمون (الأحابيش) يسيرون مع قريش لحصار النبي ﷺ وأصحابه تحت قيادة رجل اسمه: (الحليس بن علقمة الكناني، وهو يومئذٍ سيد الأحابيش)[6] وهو رجل عاقل وحكيم يحترم الهدي ومن يسوقه إلى بيت الله العتيق، وكان وجود أمثال الحليس سبباً في عدم هجوم قريش وإشعالها حرب جديدة مع النبي ﷺ.

كانت قريش أكثر تعقلاً هذه المرة لوجود أمثال الحليس، فقد (قام عروة بن مسعود فقال: أي قوم.. ألست بالولد؟ وألستِ بالوالدِ؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟

---

(١) حديث صحيح البخاري-٤١٩١ والنسك: الدم، فسره عليه السلام بالشاة كما سيأتي.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٨١٦).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم - الحج.
(٤) رفضوا وأبوا.
(٥) سيأتي تخريجه.
(٦) هو جزء من حديث ابن إسحاق الطويل الصحيح.

قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا[1] علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أعطاني؟ قالوا: بلى.

قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها، ودعوني آته «يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد، وأني ولد، وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم[2] بنفسي، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم» قالوا: ائته.

فأتاه «فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه» فجعل يكلم النبي ﷺ «فقال: يا محمد، جمعت أوباش[3] الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها[4]، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً» فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل بن ورقاء[5].

فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت[6] أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى[7]، فإني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك «وأبو بكر رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات[8]، أنحن نفر عنه وندعه؟!!

فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك «لكافأتك بها، ولكن هذه بها، ثم تناول لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ من الحديد» وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة واقف على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف[9]، وقال

---

(١) أبوا ورفضوا.
(٢) واسيتكم وساويتكم.
(٣) أخلاط الناس وأقلهم منزلة.
(٤) حماك أو حما قومك لتفرقه وتمزقه.
(٥) أي كلاماً كالذي قاله لبديل.
(٦) أي قطعت وانهيت.
(٧) أي إن هزمت.
(٨) إهانة لمعبوده المدعو: اللات.
(٩) حديدة بأسفل جفن السيف.

له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ «قبل والله لا تصل إليك. قال: ويحك ما أفظك وأغلظك.

فتبسم رسول الله ﷺ» فرفع عروة رأسه فقال: من هذا «يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك» المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ «هل غسلت سوأتك إلا بالأمس»، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل. وأما المال فلست منه في شيء».

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، «فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه، فأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه»)[1].

عروة منبهر بإجلال الصحابة للنبي ﷺ

يكاد لا يصدق ما يرى، لكنها الحقيقة شاخصة أمام عينيه.. أخذته الدهشة إلى قريش، فحدثهم عن إجلال لم يحض به أعظم ملكين على وجه الأرض (كسرى وقيصر).. (قام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه «كادوا يقتتلون على وضوئه» ولا يبسق بساقاً إلا ابتدروه «إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده» ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه «وإذا أمرهم ابتدروا أمره» «وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيماً له» فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما، والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد في أصحابه.

«والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها». ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم)[2] (فقال رجل من بني كنانة «الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذٍ سيد الأحابش»: دعوني آته. فقالوا: ائته،

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣١) وأحمد (٤/٣٢٤) والزوائد له.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٤-٣٢٤ والبخاري (٢٧٣١) والزوائد لفظ البخاري.

فلما أشـــرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رســـول الله ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن[1]، فابعثوها له «ابعثوا الهدي في وجهه».

فبعثت له، واســـتقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك «الهدي يســـيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله، رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى» قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت «يا معشـــر قريش، قد رأيت مالا يحل صده: الهدي في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله.

فقالوا: اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك»)[2].

فقدت طواغيت قريـــش عقلها واحترامها لمبادئهـــا.. وأفقدها حقدها احترامها لبيـــت الله، ولمن يقصده للحج والعمرة بتلـــك الكلمات التي قذفتها كالحجارة في وجه الحليس الكناني ســـيد الأحابش وحليفها الدائم، لذلك لم تمانع أن تبعث رســـولاً ثالثاً هابط المستوى مثلها. قريش تبعث رجلاً فاجراً:

قريش تبعث مكرز بن حفص

بعـــد تلك الكلمات غير المهذبة التي أطلقتهـــا قريش على حليفها (قام رجل منهم يقال له (مكرز بن حفص) فقال: دعوني آته. فقالوا: ائته.

فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز وهو رجل فاجر «غادر فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه» فجعل يكلم النبي ﷺ)[3] لكن يبدو أن قريشاً ندمت على إرسال مكرز هذا، لهذا قررت قطع رسالته وحواره برجلٍ أحكم وأعقل، ويبدو أن نداء العقل والرحم قد تنبه أخيراً داخل أوساط قريش.

---

(١) ما يذبح لله في العمرة أو الحج من الإبل أو البقر.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) جزء من الحديث السابق.

قريش تقاطع محادثة مكرز

لقد بعثوا رجلاً متزناً يعرف مكانته ومكانة خصمه، ويحترم شرف الخصومة (بعثوا (سهيل بن عمرو) أحد بني عامر بن لؤي فقالوا: ائت محمداً، فصالحه ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو)[1]

وصل سهيل بن عمرو في الوقت الذي كان النبي ﷺ يتحدث فيه إلى مكرز بن حفص (فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو)[2] و(لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: قد سهل لكم من أمركم)[3] وقبل أن يصل سهيل حدثت حركة داخل معسكر قريش.. حركة تثير الشفقة والغضب جميعاً:

أرقاء يهربون من قريش

قبل أن يصل سهيل وصلت مجموعة من الفارين من معسكر الشرك والرق.. مجموعة صغيرة من الأرقاء يمموا نحو الحرية.. نحو النبي ﷺ. رآهم علي بن أبي طالب: فقال: (خرج عِبدان إلى رسول الله ﷺ، يعني يوم الحديبية، قبل الصلح، فكتب إليه مواليهم فقالوا: يا محمد، والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك، وإنما خرجوا هرباً من الرق. فقال ناس: صدقوا يا رسول الله، ردهم إليهم.

فغضب رسول الله ﷺ وقال: ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا. وأبى أن يردهم، وقال: هم عتقاء الله عزّ وجلّ)[4] وهم أحرار بين أخوتهم المهاجرين والأنصار.. ينعمون برحمة الإيمان وأفياء المساواة والتآخي في الله.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي في الكبرى ٩ - ٢٢١ حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن.. وهو سند البخاري

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣١).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٤) حديث صحيح دون قوله: هم. رواه أبو داود (٢٧٠٠) وله طريق أخرى عند أحمد ١-١٥٥ حيث توبع ابن إسحاق وشيخه، فالتقى الطريقان عند منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن علي رضي الله عنه: ومنصور ثقة لا يدلس وشيخه مخضرم ثقة عابد.

أما سهيل بن عمرو فقد وصل إلى معسكر المؤمنين (فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، تكلما وأطالا الكلام، وتراجعا، حتى جرى بينها الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب)[1] تحدث سهيل بن عمرو فقال: (هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب)[2] وكان (كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[3] (فقال النبي ﷺ: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب باسمك اللهم. كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ: اكتب: باسمك اللهم.

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك. ولكن اكتب: [اسمك واسم أبيك] «هذا ما اصطلح عليه» محمد بن عبد الله.

فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله)[4] (ثم قال لعلي: امح: رسول الله.

قال علي: لا. والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب)[5] (قال ﷺ: فأرنيه. فأراه إياه، فمحاه النبي ﷺ بيديه)[6] وبعد أن محا النبي ﷺ كلمة رسول الله.. رأى الجميع شيئاً لم يعرفوه من قبل عن النبي ﷺ ف.

هل حدثت معجزة ثانية على أرض الحديبية

فالنبي ﷺ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولذلك قال ﷺ لعلي بن أبي طالب: (أرنيه)، ولو كان يعرف ذلك لما سأله، لكن الذي حدث أن النبي ﷺ محا الكلمة التي

---

(١) حديث أحمد الطويل الصحيح.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣١).

(٣) سنده حسن رواه أحمد ٢-٥٩٠ حدثنا عبد الرزاق حدثنا عكرمة بن عمار أخبرنا أبو زميل أنه سمع ابن عباس. عكرمة هو حسن الحديث من رجال مسلم، التقريب ٣٩٦ وشيخه لا بأس به، التقريب ٢٥٦ والحديث عند أحمد في فضائل الصحابة.

(٤) صحيح رواه البخاري (٢٧٣١) والزوائد لأحمد وما بين المعقوفين لمسلم (١٧٨٣).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٥١).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣١٨٤) وما بين الأقواس لمسلم (١٧٨٣).

أشـــار إليها علي بيديه، ثم (أخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب، فكتب «ابـــن عبد الله»)[1]، أي أن النبي ﷺ كتب فقط: (ابن عبد الله) وما حدث منه ﷺ قد يكون معجزة من الله، وقد يكون رسمها، فهي مجرد كلمة واحدة يجيد رسم مثلها أغلب الأميين الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ومع ذلك تجدهم يجيدون كتابة أسمائهم، وهي ليست كتابة بالمعنى الصحيح، بل هي مجرد رسم وتقليد.

ثم واصل علي رضي الله عنه كتابة شـــروط الصلح التي أثارت غضب عمر، كما أثارت غضب علي من قبل، لكن شيئاً حدث أثار الجميع إلا النبي ﷺ..؟

إنه ليس ما أملاه سهيل من شروط، بل أخطر من ذلك وأفدح.. جريمة كادت تفسد كل شيء، ودناءة كادت تحول أرض الحديبية إلى ساحة حمراء.. تلك الجريمة كانت:

محاولة اغتيال النبي ﷺ

يقـــول أحد الحضـــور وهو الصحابي عبد الله بن مغفل: (كنا مع رســـول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشـــجرة على ظهر رســـول الله ﷺ، وعلي ابن أبي طالب وســـهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.

فأخذ ســـهيل بن عمرو بيده فقال: ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، اكتب باسمك اللهم.

فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رســـول الله ﷺ أهل مكة. فأمســـك ســـهيل بن عمرو بيده وقال: لقد ظلمناك إن كنت رســـوله. اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا رسول الله، فكتب..

فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شـــاباً عليهم الســـلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقدمنا إليهم، فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: هل جئتم في عهد أحد، أو: هل جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: لا.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٥١).

فخلى سبيلهم)[1] وعفا عنهم وتركهم لضمائرهم علها تستيقظ، ثم انصرف لإكمال ما بدأه من اتفاق وكتابة:

شروط صلح الحديبية

قال سهيل بن عمرو: (اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، على:

- وضع الحرب عشر سنين.
- يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.
- على أنه من أتى رسول الله ﷺ «رجل» من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم.
- ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليهم.
- وأن بيننا عيبة مكفوفة[2].
- وأنه لا إسلال[3].
- ولا إغلال[4].
- وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه: من أحب[5] أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه.
- ومن أحب[6] أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.
- وانك ترجع عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة.

---

(١) سنده لا بأس به رواه أحمد ٤-٨٦ والحاكم ٢-٦١ من طريق زيد بن الحباب وعلي ابن الحسن بن شقيق وهما ثقتان، قالا: أنبأنا وحدثني الحسين بن واقد، حدثني ثابت البناتي عن عبد الله بن مغفل.. والحسين ابن واقد ثقة وشيخه تابعي ثقة عابد وقال الذهبي في تعليقه على سماع ثابت من عبد الله: لا يبعد سماع ثابت من ابن مغفل قد اتفقا -أي الشيخان- على إخراج معاوية بن قرة، وحميد بن هلال عن ابن مغفل، وثابت أسن منهما.

(٢) أي لا غش فيها.

(٣) أي لا سرقة.

(٤) ولا خيانة.

(٥) أي من أحب من القبائل الأخرى أن يحالف محمداً.

(٦) أي من أحب من القبائل الأخرى أن يحالف قريشاً.

- وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك.
- فتدخلها بأصحابك وأقمت فيهم ثلاثاً معك السلاح الراكب.
- لا تدخلها بغير السيوف في القرب)[1].
- (وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه.
- وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها)[2].

تعجب بعض الصحابة من تلك الشروط الجائرة (فقالوا: يا رسول الله: أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً)[3].

لم تنته المعاهدة حتى الآن، وعلي رضي الله عنه يواصل كتابة الشروط، والغضب يتطاير من عيني عمر بن الخطاب، والصحابة رضي الله عنهم في حالة ذهول..

في تلك الأثناء حدثت حركة أججت لهيب الغضب في معسكر المسلمين.. مشهد كالفجيعة، وظلم لا طاقة للرجال به.

لقد وصل الآن إلى مكان المباحثات رجل يرسف في قيوده.. يزحف، ويمشي ويسقط، ويجأر باحثاً عن ملجأ ومفر له مما هو فيه.. إنه ابن ذلك الرجل الذي يفاوض النبي ﷺ سهيل بن عمرو وابنه ذلك اسمه (أبو جندل)

مأساة أبي جندل

قيده أبوه عندما علم بإسلامه، وغل يديه وقدميه، ومنعه من مغادرة مكة، لكنه لم يستطع منعه من مغادرة الشرك. ولما خرجت قريش لصد النبي ﷺ عن دخول مكة وجد ثغرة فهرب من خلالها، وها هو الآن بين يدي رسول الله ﷺ، ووالده سهيل يشاهده، ومداد المعاهدة لم يجف بعد، والشروط لم تنته حتى الآن، لكن النبي ﷺ قد وافق على ما مضى؟

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٤-٣٢٥ والزوائد للبخاري (٢٧٣٢).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٥١).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٨٣).

وصل أبو جندل بعد أن قال والده سـهيل لرسول الله ﷺ: (وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سـبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تـرده إليّ. فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتـاب بعد! قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً.

«فلما رأى سـهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا.

قال: صدقت.

فقام إليه فأخذ بتلبيبه[1]، وصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معاشـر المسـلمين، أتردونني إلى أهل الشرك، فيفتنوني في ديني.

فزاد الناس شراً إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المسـتضعفين فرجاً ومخرجـاً، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، فأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عليه، وإنا لن نغدر بهم».

قال النبي ﷺ [2]: فأجزه لي[3]. قال: ما أنا بمجيز ذلك لك.

قال: بلى، فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزنا لك. قال أبو جندل: أي معشـر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله)[4].

كان هذا المنظر المؤلم خنجرا في خاصرة عمر.. يفقده صوابه وصبره (فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل، فجعل يمشـي إلى جنبه وهو يقول: اصبر أبا جندل،

---

(١) أي بثوبه من جهة الصدر.

(٢) قال لسهيل بن عمرو.

(٣) أي اتركه لي.

(٤) حديث البخاري الطويل السابق والزوائد لأحمد.

فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، ويدني قائم السيف منه، ويقول: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن[1] الرجل بأبيه، ونفذت القضية)[2]

كان عمر يريد من أبي جندل أن يجهز على أبيه بالسيف، وينطلق من إساره بنفسه دون مساعدة المسلمين، ليكون بذلك قد حرر نفسه ولا لوم على النبي ﷺ، ولا على أصحابه، ولا على عهدهم وذمتهم. لكن أبا جندل لم يفعل فطار صواب عمر وتوجه نحو نبي الله ﷺ بعد أن رأى وسمع ما لم يستطع عليه صبراً.

قال عمر للنبي ﷺ: (ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ «ألسنا بالمسلمين أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ «فعلام نعطي الذلة في ديننا؟».

قال ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري، «أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني». قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوف به.

فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟

قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ «أولسنا بالمسلمين، أو ليسوا بالمشركين»؟ قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ فعلام نعطي الذلة في ديننا؟». قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به)[3].

ندم عمر على ما كان منه من احتجاج على ذلك الظلم الوثني.. ندم عمر وتوجه بالتوبة إلى الله، وحاول تكفير ما كان منه بأعمال كثيرة يقول عنها: (مازلت أصوم

---

(١) أي بخل بأبيه على الموت.

(٢) حديث البخاري السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري وهو الحديث الطويل السابق والزوائد لأحمد.

وأتصـــدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت، مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذٍ، حتى رجوت أن يكون خيراً)[1]

بالنسبة للنبي ﷺ كل شيء قد انتهى، ولم يتبق سوى التحلل من الإحرام، والعودة إلى المدينة.

لكن الصحابة لم يمتثلوا لأوامره ﷺ

الأمـــر عندهم غيـــر قابل للتصديق!! أين تلك الأحلام بالطـــواف بالبيت الحرام، والصلاة فيه..؟ أين أحلام المهاجرين بمعانقة أجواء مكة الحبيبة..؟ هل انهار كل ذلك على صخور الحديبية..؟

حاول ﷺ أن يزيل تلك الدهشة وذلك الذهول، لكنه لم يستطع، وما حدث أنه (لما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. فوالله ما قام رجل)[2]

فقـــال مرة ثانيـــة: فانحروا ثم احلقوا، فلم يقم منهم أحد مما بهم من الهم والغم، ثم قال الثالثة: قوموا فانحروا ثم احلقوا.

لكنه لم يلق إجابة فعليةً ولا حتى قولية، (حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة)[3] عله يجد لدى هذه المرأة العظيمة حلاً.

أم سلمة تشير على النبي ﷺ

نحـــو خبائهـــا الكريم تهادى النبـــي ﷺ فـ(دخل على أم ســـلمة، فذكر لها ما لقي من الناس. «فقال: يا أم ســـلمة ما شـــأن الناس؟» فقالت أم سلمة: «يا رسول الله، قد دخلهم ما رأيت»، يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك[4]، وتدعو حالقك فيحلقك. «فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك».

---

(١) حديث صحيح وهو حديث أحمد الطويل السابق.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢) وأحمد (٣٢٦/٤).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢) وأحمد (٣٢٦/٤).
(٤) البدن: هي: الإبل والبقر التي ينحرها الحاج أو المعتمر لله.

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه[1]، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، فجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما)[2] مما رأوه من ظلم وغبن من المشركين، فهم بشر، وبنود المعاهدة مجحفة في حقهم، مما أصابهم بالذهول، مما أحوجهم إلى قدوة عملية تنتشلهم من ذلك الذهول.

كان النبي ﷺ قد بدأ بالنحر قبل الحلق. حيث (حلق بالحديبية في عمرته، وأمر أصحابه بذلك، ونحر بالحديبية قبل أن يحلق، وأمر أصحابه بذلك)[3]، وحتى يغيظ أولئك المشركين المتغطرسين.. ساق ﷺ معه جملاً كان لأبي جهل في غزوة بدر.. غنمه المسلمون، فنحره أمام أعين المشركين.

النبي ﷺ ينحر جمل أبي جهل

يقول أحد الصحابة: (أهدى رسول الله ﷺ جمل أبي جهل في هديه يوم الحديبية، وفي رأسه برة من فضة، كان أبو جهل أسلمه يوم بدر)[4] (ليغيظ المشركين بذلك)[5].

وإذا كان هذا الأمر قد أفزع المشركين، فإنه قد أيقظ المؤمنين من همومهم، فنهضوا لينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم، وقد اشترك الصحابة بالهدي.. السبعة منهم يشتركون في الجمل أو البقرة، أما الشاة فلا تكفي إلا عن واحد.

يقول جابر رضي الله عنه: (نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة)[6] (نحرنا يومئذ سبعين بدنة، اشتركنا: كل سبعة في بدنة)[7].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢) وأحمد (٣٢٦/٤).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢) والزوائد لأحمد (٣٢٦/٤).
(٣) حديث أحمد الصحيح السابق (٣٢٧/٤)
(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ومن طريقه أحمد ١-٢٦١ وغيره. بن أبي نجيح تابعي ثقة التقريب ٣٢٦ ومجاهد ثقة إمام، االتقريب ٥٢٠ وله طريق آخر عن ابن عباس عند أحمد ١-٢٦٩ وطريق عند الطبراني (٢٣/٧) عن سلمة.
(٥) حديث صحيح وهو جزء من حديث ابن إسحاق السابق.
(٦) حديث صحيح رواه مسلم (١٣١٨) الحج.
(٧) حديث صحيح رواه مسلم (١٣١٨) الحج.

نحر الصحابة سبعين بدنة، ولا أدري هل نحروا من الغنم شيئاً، ثم قاموا (وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً)[1] لكن بعض الصحابة، وهم قلة، لم يحلقوا بل اكتفوا بتقصير شعورهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال: يرحم الله المحلقين.

يقول أحد الصحابة: (حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين. قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلقين.قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلقين. قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: والمقصرين.

قالوا: فما بال المحلقين ظاهرت لهم الترحم؟ قال: لم يشكوا)[2]

وبعد الحلق هدأ عمر ومن معه من الصحابة، لكن الذهول مازال يطوف برؤوسهم، ومازالت صورة أبي جندل تلوح أمامهم.. لم يكن أبو جندل وحده مأسوراً.. هناك الكثير غيره، حتى حلفاء قريش كانوا قد أوثقوا من آمن منهم، وكان من هؤلاء المأسورين:

أسد يقال له: أبو بصير

قيده قومه ومنعوه من الالتحاق بمحمد ﷺ وأصحابه، واسمه (عتبة ابن أسيد بن جارية الثقفي) ولم يكن الرجال وحدهم يعانون هذه المأساة، ويتجرعون سموم الشرط الجائر.

النساء المستضعفات عانين الكثير.. تلك المؤمنة الطاهرة ابنة الطاغية الهالك (عقبة بن أبي معيط) واسمها (أم كلثوم) تخطط للهرب من مستنقع الشرك وأسلاكه الشائكة، فتنجح، وعندما تصل هي وغيرها إلى النبي ﷺ يطالب أهلها بإرجاعها حسب نصوص المعاهدة، لكن النبي ﷺ يرفض إرجاع النساء المهاجرات. ليس لأنه نقض عهده مع قريش.. إنه أكبر من ذلك، وتاريخه أبيض في هذا الشأن، فقد رد حذيفة ووالده يوم بدر، ورد أبا جندل قبل قليل، فلم لا يرد أم كلثوم ورفيقاتها من المؤمنات الهاربات من عالم الأصنام..؟

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس. عبد الله بن أبي نجيح يسار تابعي ثقة التقريب ٣٢٦ ومجاهد بن جبر ثقة إمام في االتقريب التهذيب ٥٢٠ .

الإجابة هي أن النبي ﷺ وجد للمؤمنات ثغرة خلال نصوص المعاهدة.. ثغرة تتيح للمؤمنات التسلل من خلالها والهرب. فقد كان سهيل كغيره من المشركين لا يأبهون لشأن المرأة إلا حين تناديهم غرائزهم، ولذلك قال سهيل للنبي ﷺ: (وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا)[1]

هذا النص - الشرط ينصب على الرجال فقط، لذا فالنساء لا يدخلن تحت طائلته، فكان الفرج لأم كلثوم فقد (كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد «رجل» وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذٍ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذٍ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم..؟ فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ [2] فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾)[3]

تقول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧١١-٢٧١٢).

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠، وأكملت الآية للفائدة.

﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك، كلاماً يكلمها به، والله ما مست يده امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله)[1].

سمع عمر بن الخطاب تلك الآيات، والقرآن يسري في عروق عمر لا يجد ما يعيق انسيابه، والقرآن يتوهج داخل زواياه وأعماقه، فاستجاب على الفور

تقول عائشة رضي الله عنها: (لما أنزل الله تعالى: أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكوافر، أن عمر طلق امرأتين: «قريبة بنت أبي أمية» و«ابنة جرول الخزاعي».

فتزوج «قريبة»: معاوية بن أبي سفيان، وتزوج الأخرى أبو جهم، فلما أبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم، أنزل الله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ والعَقَبُ: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صداق نساء الكفار اللاتي هاجرن، وما نعلم أحداً من المهاجرات، ارتدت بعد إيمانها)[2] بالله ورسوله، أما من هاجرن فلن يردهن ﷺ للمشركين لأنه لا شرط بينهم في ذلك.

اقتنعت قريش ورضيت على مضض بذلك، فبين يديها يتلبط أبو جندل في قيوده.. لم يلن أبوه سهيل لمرآه، ولم يتذكر تلك القيود التي كان مكبلاً بها في حجرة سودة رضي الله عنها بعد أسره في غزوة بدر.. لقد أعماه الشرك عن الشعور بالقيود، بل أعماه عن الشعور بالأبوة تجاه ابنه أبي جندل.

سلم المسلمون والمشركون بالمعاهدة، فتحولت أرض الحديبية إلى ساحة للسلام.. اختلط فيها الجميع: المؤمنون والكافرون، ولا بد أن ذوي الأرحام والصداقات الماضية رأى بعضهم بعضاً، ووصل بعضهم بعضاً، لكن من المشركين من لا ينفع معه عهد ولا ميثاق، ولا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.. هناك من تجثم بين أضلعه أحقاد ومخالب، فحاول إفساد كل شيء.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧١٣) سورة الممتحنة.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٣٣).

بعض المشركين ينقضون المعاهدة

يقول سلمة بن الأكوع: (ثم إن المشركين راسلونا الصلح، حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا. وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله، أسقي فرسه، وأحسه[1]، وأخدمه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها[2]، فاضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم، واضطجعوا، فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: ياللمهاجرين، قتل ابن زنيم.

فاخترطت سيفي[3]، ثم شددت[4] على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثاً[5] في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه. ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمي عامر برجل من العبلات[6] يقال له: مكرز، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف[7] في سبعين من المشركين. فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه. فعفا عنهم رسول الله ﷺ)[8] كما عفا عن أولئك الغادرين أثناء كتابة العقد، وكان عدد هؤلاء الغادرين أكثر من سبعين.

يقول أنس بن مالك: (إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً، فأنزل

---

(١) أحك ظهره بالمحسة.
(٢) كنست ما تحتها من الشوك.
(٣) سللته. (٤) هجمت.
(٥) حزمة.
(٦) من قريش نسبة لأمهم التميمية (عبلة).
(٧) مجلل بشيء يقيه الجراح في الحرب.
(٨) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٧).

الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[2].

كان للنبي ﷺ رأيٌ لا يخيب في صاحبه سلمة بن الأكوع.. كان يدرك ما لدى هذا الرجل من بأس وشجاعة، ولذلك بايعه ثلاث مرات، ولذلك بايعه على الموت، ومازال لدى سلمة الكثير.. الكثير لله ولرسوله ﷺ، ومازال لدى سلمة الكثير ليقوله لنا عن الحديبية وما بعدها. ها هو سلمة يستعد للرحيل فـ:

النبي ﷺ يعود بأصحابه إلى المدينة

نهض جيش المؤمنين مع نبيه ﷺ متوجهين نحو المدينة.. عادوا والهموم طريق، ومرابع مكة وكعبتها آهات في قلوبهم.. عادوا منكسرين يلفهم الوجوم والحزن، حتى أقبل الليل عليهم، فصلى الجميع المغرب والعشاء وحان موعد النوم، فحدثت هذه القصة:

قصة النوم حتى طلوع الشمس

هل كان من أسباب ذلك النوم العميق الحزن الثقيل على بيت الله الحرام..؟

الله أعلم. لكن ابن مسعود يقول: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية، فذكروا أنهم نزلوا دهساً من الأرض -يعني الدهاس: الرمل- فقال: من يكلؤنا؟ فقال بلال: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «إذاً ننام.

فناموا حتى طلعت الشمس، فاستيقظ ناس، منهم: فلان، وفلان، وفيهم عمر». فقلنا: اهضبوا -يعني- تكلموا.

فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: افعلوا كما كنتم تفعلون. ففعلنا. وقال: كذلك فافعلوا لمن نام أو نسي[3].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٨).

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٤.

(٣) يعنى صلوا بعد قيامكم من النوم.

وضلت ناقة رسول الله ﷺ فطلبها فوجدت حبلها قد تعلق بشجرة، فجئت بها إلى النبي ﷺ، فركب مسروراً)[1] وسار وسار معه أصحابه.. يتوقفون للصلاة حيناً، وللراحة حيناً، ولما جن عليهم الليل كان ﷺ يسير وعمر بن الخطاب إلى جانبه يحدثه و:

النبي ﷺ لا يرد على عمر

كان ﷺ يسير (وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك.

قال عمر: فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن. وجئت رسول الله ﷺ فسلمت، فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾)[2].

ربما كان ﷺ في لحظات أسئلة عمر مشغولاً، أو مهموماً، أو يوحي إليه، لكنه كان حساساً تجاه صحابته.. لم يترك عمر لأفكاره تذهب به بعيداً، لقد دعاه وبشره بـ:

نزول سورة الفتح

وقرأ عليه ما نزل، فسأله عمر سؤالاً أعادت إجابته الطمأنينة إلى نفسه. لقد (نزل القرآن على رسول الله بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه «فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها». فقال «عمر»: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: نعم.

---

(١) صحح إسناده الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٢٩٣) وقد رواه أحمد ١-٤٦٤ واللفظ له ورواه أبو داود (٤٤٧) والبزار (زوائد - ٢٠٢/١).كلهم من طريق الثقة: جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، قال: سمعت عبد الله بن مسعود. ولي ملاحظة على هذا التصحيح للسند، نظراً لأن الشيخ رحمه الله اكتفى بقوله في الإرواء (٢٩٣) إسناده صحيح دون أن يتحدث عن سنده ومتنه، لا سيما وقد أورده شاهداً لحديث عند البخاري، وجعله موازياً لحديث عند مسلم يحمل قصة مماثلة. لكن عند التدقيق في السند والمتن يتبين عذري في إبداء ملاحظة على تصحيح الشيخ فحديث مسلم يتحدث عن خيبر، وهذا الحديث يتحدث عن الحديبية، أما السند، ففيه إشكال حول الراوي عن ابن مسعود، فالرجل مشكوك في صحبته وهو غير الصحابي الذي روى قصة وفد ثقيف، فقال الدارقطني: لا تصح له صحبة ولا نعرفه. وقال أبو حاتم: هو تابعي ليست له صحبة، فإذا تجاوزنا وقلنا إنه تابعي كبير روى عنه ثقتان، فلا يمكن قبول مخالفته لحديث مسلم وأن ذلك وقع بعد خيبر كما سيأتي، وهو ما مال إليه ابن عبد البر وابن القيم في الزاد.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٧٧).

فطابت نفسه ورجع)[1] من حيث أتى، ورجعت السكينة إلى قلبه، وهدأت ثائرته واستبشر خيراً وفتحاً مؤكداً.

أما الصحابي الجليل المدعو: (مجمع بن جارية الأنصاري، وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن، قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها «إذ الناس يهزون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ.

فخرجنا مع الناس نوجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع عليه الناس» قرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال ﷺ: نعم «والذي نفسي بيده إنه لفتح»)[2]

ارتفعت المعنويات ونشط الجميع، فالنصر في الطريق، وليس النصر وحده في الطريق.. هناك أشياء وأشياء.. هناك الهبات والمعجزات، والدهشة التي لا تنقضي.. سار الجميع نحو المدينة الحبيبة وكلهم شوق وعطش، وفي الطريق نفد الماء، ولم يبق أحد معه ماء سوى النبي ﷺ، الذي احتفظ به بإناءٍ جلدي صغير يسمونه «الركوة». حمل الصحابة عطشهم وشكواهم إلى الله، ثم إلى رسوله، فـ:

تحولت الركوة إلى نهر عذب

شرب منها الجميع، وتوضأوا وتنظفوا.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ما نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما في ركوتك.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣١٨٢) ومسلم الجهاد (١٧٨٥) واللفظ له والزوائد للبخاري.

(٢) حكم الإمام الألباني رحمه الله بضعف هذا الحديث في ضعيف أبي داود (٢٦٨) وهو عند التدقيق أقوى من حديث أحمد السابق الذي صححه رحمه الله.. أو قل مثله وذلك لعدة أسباب.. منها: أن علة سند هذا الحديث هو التابعي يعقوب بن مجمع.. وقد قال الذهبي في المستدرك بعد تصحيح الحاكم (١٣١/٢): لم يرو مسلم لمجمع شيئاً ولا لأبيه -يعني يعقوب- وهما ثقتان. وإذا تجاوزنا هذا لأن الذهبي متأخر فالرجل تابعي روى عنه أربعة اثنان منهم ثقات وهما: ابنه مجمع وسفيان الثوري وضعيفان ووثقه ابن حبان.. لكن كل ذلك لا يكفي إلا أن للحديث شاهداً قوياً وهو ما قبله وهو به حسن عدا ما بين الأقواس الصغيرة.

فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، «فأدخل يده فيه وفرج أصابعه، ثم قال: [خذوا بسم الله] حي على أهل الوضوء البركة من الله.

فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه [كأنها عيون، فوسعنا وكفانا]، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جلعت في بطني منه، فعلمت أنه بركة)[1] ومعجزة لهذا النبي العظيم.. أهداها الله له ولأصحابه.. لخير أهل الأرض.. لأهل الحديبية، وأهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

واصل النبي ﷺ وصحابته الكرام مسيرهم، ثم توقفوا للراحة، وهذه المرة جاءوا يشكون جوعاً شديداً.. فهل ستحدث

معجزة في الطعام أيضاً

بل وفي الشراب مرة ثالثة، وذلك (لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كلمه بعض أصحابه، فقالوا: جهدنا وفي الناس ظهر[2]، فانحره لنا فنأكل من لحومه، ولندهن من شحومه، ولنحتذي[3] من جلوده..؟ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تفعل يا رسول الله، فإن الناس إن يكن معهم بقية ظهر أمثل[4].

فقال رسول الله ﷺ: ابسطوا أنطاعكم[5] وعباءكم. ففعلوا. ثم قال: من كان عنده بقية من زاد وطعام فلينثره.

ودعا لهم ثم قال: قربوا أوعيتكم، [فأكلوا حتى تضلعوا[6] شبعاً ثم لففوا فضول ما فضل[7] من أزوادهم في جربهم] فأخذوا ما شاءوا)[8] وكان من بين الذين أخذوا

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٥٢) والزوائد له (٥٦٣٩).
(٢) ما يركب من الإبل والخيل والبغال والحمير.
(٣) أي يتخذ جلده حذاءً.
(٤) أحسن وأفضل.
(٥) النطع هو البساط من الجلد أو السفرة الجلدية.
(٦) امتلأوا شبعاً.
(٧) ما زاد.
(٨) حديث حسن رواه البيهقي ٤-١١٩ من طريقين الأولى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قال: قال ابن عباس. والأخرى: من طريق يحيى بن سليم الطائفي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس. الأولى رجالها ثقات لكن هناك احتمال انقطاع بين ابن عباس وابن شهاب، لكن تشهد لها الطريق الأخرى وفيها ضعف يسير من أجل يحيى بن سليم وهو صدوق من رجال الشيخين إلا أنه سيء الحفظ، التقريب ٥٩١ ويشهد للحديث ما رواه مسلم وهو الحديث التالي.

(سلمة بن الأكوع) رضي الله عنه الذي يقول: (أصابنا جهد، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزاودنا، فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، فتطاولت لأحزر كم هو؟ فحزرته كربضة العنز[1]، ونحن أربع عشرة مائة، فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا، فقال نبي الله ﷺ: فهل من وضوء؟

فجاء رجل بإداوة له، فيها نطفة، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا: ندغفقه[2] دغفقة أربع عشرة مائة. ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور، فقال رسول الله ﷺ: فرغ الوضوء)[3].

كانت تلك المعجزات تسلية لتلك النفوس، وتثبيتاً لتلك القلوب التي أصابها ما أصابها بعد صد قريش ورفضها وشروطها الظالمة.. انتهت تلك المعجزات بالصحابة إلى شواطئ الأمن واليقين، وانتهو جميعاً إلى مكان بين مكة والمدينة.. قريب من بني لحيان، وفي ذلك الموقع الحرج.. أثار ﷺ حب الفداء والشهادة في أصحابه من جديد، وكان لسلمة بن الأكوع تميز آخر في هذا الموقع، وبالتحديد:

على جبل بين الحديبية والمدينة

يقول سلمة رضي الله عنه: (ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلاً، بيننا وبين بني لحيان جبل وهم مشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة النبي ﷺ وأصحابه.

قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة)[4] ولم يحدث قتال بين النبي ﷺ وبين بني لحيان، لكن المدينة تعرضت لهجوم مباغت من عصابة من فزارة وغطفان.. بقيادة رجل يقال له (عبد الرحمن بن عيينة الفزاري) وقد نهب في ذلك الهجوم كل إبل النبي ﷺ، واستاقها غنيمة معه، فهاجت من أجل ذلك معركة، غزوة كان بطلها فارس الإسلام (سلمة بن الأكوع) حدثت تلك الغزوة في مكان يقال له ذو قرد وبه سميت:

---

(١) أي مبرك العنز.

(٢) نصبه صباً شديداً.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم -اللقطة (١٧٢٩).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٧).

غزوة ذي قرد

بطل هذه الغزوة، الذي نفثت فيه بيعة نبيه له على الموت معنويات استثنائية يحدثنا فيقول: (كانت لقاح[1] رسول الله ﷺ ترعى بـ: ذي قرد، فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أُخذت لقاح رسول الله ﷺ. فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان «وفزارة». فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه.

فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت رامياً، وأقول:

أنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع[2]

وذلك بعد أن (قدمنا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ بظهره[3] مع رباح، غلام رسول الله ﷺ، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر[4]، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه. فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه. ثم قمت على أكمة[5]، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثاً: يا صباحاه.ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز، أقول:

أنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

فألحق رجلاً منهم، فأصك سهماً في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه[6]، قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

فوالله مازلت أرميهم وأعقر[7] بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها، ثم رميته، فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه علوت

---

(١) ذات الدر من الإبل.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٦) والزوائد للبخاري (٣٠٤١).

(٣) الدابة التي تركب أو تحمل المتاع والأثقال.

(٤) أي يورده الماء ثم المرعى والعكس.

(٥) أي تل كما جاء في بعض الألفاظ.

(٦) أي وصلت حديدة السهم إلى كتفه.

(٧) يقصد أنه يجرحهم أو يصيبهم.

الجبـــل، فجعلت أرديهم[1] بالحجـــارة، فمازلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه[2]، ثم اتبعتهم أرميهم، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحاً، يستخفون. ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً[3] من الحجارة، يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقاً من ثنية فـــإذا هم قد أتاهم فلان «عيينة» ابن بدر الفزاري، فجلســـوا يتضحون، يعني يتغدون، وجلست على رأس قرن.

قال «عيينة» الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح[4]، والله ما فارقنا منذ غلس، يرمينا حتى انتزع كل شيء من أيدينا. قال: فليقم إليه نفر منكم، أربعة.

فصعد إلي منهـــم أربعة في الجبل، فلما أمكنوني من الـــكلام، قلت: أتعرفونني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قلت: أنا ســـلمة بـــن الأكوع، والذي كرم وجه محمد ﷺ، لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن.

فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رســـول الله ﷺ يتخللون الشـــجر، فـــإذا أولهم: الأخرم الأســـدي، على إثـــره أبو قتادة الأنصاري، وعلـــى إثره المقداد بن الأســـود الكندي. فأخذت بعنـــان الأخرم. فولوا مدبرين. قلت: يـــا أخرم، إحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه.

قال: يا ســـلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة.

فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، «فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة» فطعنه، فقتله «أبو قتادة وتحول أبو قتادة إلى فرس الأخرم، ثـــم إني خرجت أعدو في أثر القوم» فوالذي كـــرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شـــيئاً، حتى يعدلوا قبل

---

(١) أرميهم.

(٢) تركوها لسلمة.

(٣) أعلام من الحجارة.

(٤) التعب والإجهاد الشديد.

غروب الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له ذو قرد، ليشربوا منه وهم عطاش. فنظروا إليَّ أعدو وراءهم، فخليتهم عنه -يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، «فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية[1]، ثنية ذي شر وغربت الشمس» ويخرجون فيشتدون[2] في ثنية، فأعدو فألحق رجلاً منهم، فأصكه بسهم في نغض[3] كتفه. قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع والـيوم يوم الرضع

قال: يا ثكلته أمه.. أي أكوعة بكرة[4].

قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة «وكان الذي رميته بكرة[5]، فاتبعته بسهم آخر، فعلق به سهمان» وأرادوا فرسين على ثنية، فجئت بها أسوقها إلى رسول الله ﷺ، ولحقني عامر بسطيحة[6] فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم[7] عنه، فإذا رسول الله ﷺ «في خمسمائة» قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها. قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل، فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النهار، فقال: يا سلمة، أتراك كنت فاعلاً؟ قلت: نعم والذي أكرمك. فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان.

فجاء رجل من غطفان فقال: «مروا على فلان الغطفاني فـ» نحر لهم فلان جزوراً، «فلما أخذوا يكشطون جلدها» فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين. فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة. ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس، وسهم

---

(١) الطريق في الجبل.
(٢) يركضون.
(٣) أعلى غضروف الكتف.
(٤) أي هو الذي جاءنا في الصباح الباكر مازال يلاحقنا.
(٥) مبكراً.
(٦) قربة جلد.
(٧) منعهم عنه.

الراجل، فجمعها لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء، راجعين إلى المدينة)[1].

كان سلمة أسطورة من الشجاعة والإقدام.. كان جسداً مفتولاً لله.. يعرق في دروب الشهادة وينزف.. كان قلباً ينبض بالفداء والجسارة، فلا عجب أن بايعه ﷺ ثلاث مرات، ولا عجب أن بايعه على الموت.

تمتع سلمة بمرادفة النبي ﷺ على العضباء.. وشرف بلمس جسده الكريم، وفي ساعات الجد تلك كان لسلمة رغبة في اللهو والتحدي.. في طريق المدينة وأمام عينيه ﷺ وبين يديه مارس سلمة ورجل من الأنصار لهواً وتحدياً ومرحاً.

سلمة يسابق رجلاً من الأنصار يتحدى الجميع

يواصل سلمة رضي الله عنه بقية حديثه فيقول: (ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، «فلما كان بيننا وبينها قريب من ضمرة» فبينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، فلما سمعت كلامه «وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي» قلت: أما تكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟

قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ.

قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي، ذرني فلأسابق الرجل. قال: إن شئت. قلت: أذهب إليك.

«فطفر[2] عن راحلته» وثنيت رجلي، فطفرت فعدوت، فربطت[3] عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره، فربطت شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت[4] حتى ألحقه، فأصكه بين كتفيه. قلت: قد سبقت والله.

---

(١) صحيح رواه مسلم - الجهاد (١٨٠٧) والزوائد للبيهقي (١٨٢/٤) وهي صحيحة، وقد رواه البيهقي من طريقين عن هاشم بن القاسم وهو أحد رواة مسلم لهذا الحديث به.

(٢) قفز.

(٣) أي جريت جريا خفيفاً، والشرف المكان المرتفع، وفعل ذلك لكي يبقي طاقته للنهاية.

(٤) أسرعت في الجري.

«فضحك» وقال: أنا أظن. فسبقته إلى المدينة)[1]

مشـــهد بريء ومفرح، ومرح متاح يمارســـه هؤلاء الفرسان الأشداء العظماء بعيداً عن التنطع والتطرف، لأنهم بين يديه ﷺ، ويداه كانتا ربيعاً.. ينثال ذلك الربيع للجميع، والجميع الآن في المدينة.. يرتاحون من عناء الحديبية وذي قرد، ويغتسلون من غبار السفر.

كانت المدينة بانتظارهم، لكنها لم تكن بانتظار هذا الفارس الذي تعشـــقه مثلهم.. تعشقه لكنها لا تستطيع احتضانه.. فارس أضناه الشوق إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يتعبه الأسر ولا السفر، ولم تستطع أغلال قومه تحطيمه.. هو الذي حطمها وهب كالريح نحو مدينة الحرية والإيمان.

وصل هذا المشتاق إلى المدينة فإذا هو:

أبو بصير في المدينة

والمعاهـــدة بين النبي ﷺ وقريش لا تزال ســـارية المفعول والبنود، فماذا ســـيكون مصيره وهو الهارب من قومه.. المهاجر إلى الله ورســـوله ﷺ..؟ هل سيرده كما رد أبا جندل من قبل..؟

لقد (رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير -رجل من قريش- وهو مســـلم، فأرسلوا في طلبه رجلين. فقالوا: العهد الذي جعلت لنا..؟

فدفعه ﷺ إلـــى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت.

فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد[2] وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً.

فلمـــا انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم.

---

(١) حديث صحيح وهو جزء من حديث مسلم السابق.

(٢) أي ضعف وفتر والمقصود أنه مات.

قال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد.

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر)[1]

يا إلهي.. ألهذه الدرجة بلغ التزام نبينا عليه السلام بالمعاهدات والمواثيق والعهود..!! من يفعل ذلك..؟ يسلم صاحبه للمشركين، ثم يهم بتسليمه مرة أخرى..!!

رائع هذا الدين.. رائع من يلتزم به منكراً أهواءه وميوله وغرائزه.. صلح الحديبية دروس لو استوعبها مجاهدونا الأشاوس لما أصابهم ما أصابهم.

في هذه الأثناء التي لجأ فيها أبو بصير إلى جوار البحر.. فر أبو جندل من أسره، وانطلق يحمل حريته بيديه، فترامى إلى سمعه أن أبا بصير هناك.. كالأسد الرابض على ساحل البحر الأحمر، فانطلق إليه، واتحد معه في تشكيل مساحة من الرعب والخوف ليس لها حدود سوى الموت، فبعد أن (قال النبي ﷺ ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر.

وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام، إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم)[2] وتركوا لقريش النواح على قتلاها، والندم على صدها لمحمد وأصحابه، والحسرة على تلك الشروط التي زرعت في طريقها أولئك الأسود.. أولئك الشباب الذين ضيقت عليهم طواغيت الشرك كل طرق الحياة الطبيعية، أغلقتها وأشرعت لهم طريقاً واحداً.. طريق العنف المضاد، فحول أولئك الشباب ذلك الطريق إلى نهر تهدر فيه دماء قريش وكرامتها، حولوا حياة قريش إلى جحيم ونواح.. حولوا طرقاتها إلى رعب وتلفت.. وتجارتها إلى كساد حين قطعوا شريان التجارة الذي يصلهم بالشام.

لكن ماذا عن محمد ﷺ، أليس شريكا فيما يحدث لقريش من إرهاب..؟

لا.. أبداً على الإطلاق.. إنه في حل مما يحدث لمجرمي قريش، ولا مسؤولية عليه مادام هذا العنف المضاد لا يمارس داخل حدود دولته، فقد فعل ما لم يفعله غيره..

---

(١) هو حديث المسور ومروان الطويل الصحيح.

(٢) هو حديث المسور ومروان الطويل الصحيح.

رفض استقبال أولئك المظلومين بل سلمهم تنفيذاً لشروط قريش وإرادتها الظالمة، ورفض حمايتهم، أو إمدادهم، في الوقت الذي يتمتع فيه مواطنون يهود ووثيون بالأمن تحت حماية دولته في المدينة.. إنها معركة بين قريش وبين فتية حارت بهم الدروب، وضاقت بهم السبل..

من مثل محمد ووفاء محمد ﷺ..؟

وإلى أن تأتي الإجابة على قريش أن تتحمل مسؤولية طغيانها، أما النبي ﷺ، فبعد أن رد صاحبه أبا بصير الذي جعلته المعاهدة طريداً شريداً.. لا يملك مساحة يعيش عليها سوى مساحة سيفه.. توجه ﷺ إلى أصحابه المتعبين من طول السفر، وأمرهم بالاستعداد من جديد، لسفر جديد. فقد أمن شر قريش، وأشغلها أبو بصير وأبو جندل ومن معهما بالرعب المشروع، والسيوف الملتهبة، وقد حان تأديب أحد أطراف معركة الخندق، وهم اليهود القابعون في حصون خيبر، فلا يكفي قتل قائدهم الخائن أبي رافع (سلاَّم بن أبي الحقيق) وهو داخل حصنه في خيبر، ففي داخل ذلك الحصن أكثر من سلاَّم، وأكثر من خيانة، لذلك قرر ﷺ

غزوخيبر

وذلك بعد ثلاثة أيام فقط من عودته من غزوة ذي قرد.

يقول سلمة ابن الأكوع في نهاية حديثه عن سباقه مع ذلك الأنصاري: (فسبقته إلى المدينة، فوالله، ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ)[1].

وقبل أن يخرج النبي ﷺ دعا صحابياً جليلاً يدعى (سباع بن عرفطة) فأمره بالبقاء في المدينة ثم توجه إلى (خيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة على المدينة)[2] وجعله أميراً عليها ثم سار إلى خيبر، وفي الطريق خيم الليل وانتشرت نجومه، فأيقظت تلك الأجواء المخملية شجون أحد الصحابة، وحركت مشاعره، فالتفت إلى عم سلمة بن الأكوع واسمه: عامر، وكان داخل عامر رضي الله عنه من المشاعر ما

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم وهو جزء من الحديث السابق عند مسلم (١٨٠٧).

(٢) سنده قوي وسيأتي بعد الحديث التالي.

يوازي تلك الأجواء، وما يشـجي ذلك الصحابي ويطربه، فقد كان عامر شاعراً، وكان عذب الصوت أيضاً، فطلب منه أن يتغنى بأبيات ومشـاعر يتحدث عنها سـلمة رضي الله عنه فيقول:

(خرجنـا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فتسـيرنا ليلاً، فقـال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسـمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً. فنزل يحدو بالقوم «فجعل عمي عامر يرتجز» بالقوم يقول:

اللـهـم لـولا أنـت مـا اهـتـدينـا	ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـينـا
فـاغـفـر فـداء لـك مـا اقـتـفـينـا	وثـبـت الأقـدام إن لاقـيـنـا
وألـقـين سـكـيـنـة عـلـيـنـا	إنـا إذا صـيـح بـنـا أتـيـنـا
«والمـشـركـون قـد بـغـوا عـلـيـنـا»	وبـالـصـيـاح عـولـوا عـلـيـنـا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر. قال: يرحمه الله «غفر لك ربك.

قال سـلمة: وما استغفر رسـول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، فنادى عمر بـن الخطاب وهو على جمل: يا نبي الله، لولا ما متعتنا بعامر»؟ فقال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله..؟ لولا أمتعتنا به)[1].

يا لها من ليلة.. تغنى فيها عامر، وحرك الصحابة والمشاعر، وشد حداؤه النبي ﷺ حتى سأل عنه، فدعا له بالمغفرة والرحمة، وبشره بالشهادة، فتمنى عمر بقاءه بينهم.

مشـهد عذب يقدمه ﷺ للمتنطعين.. لم يكن الإنشـاد والشعر حميماً في طريق خيبر فحسـب، فالشعر في كل مكان تتحرك فيه المشاعر، ولئن تحركت مشاعر عامر وهو في طريقه إلى خيبر، فلقد تحركت مشـاعر حافظة الإسـلام وذاكرته، وهو في طريقه إلى المدينة.. إلى النبي ﷺ.

العلـم يمـان، وهذا اليماني العظيـم المتعطش للنبي ﷺ.. المتعطـش للعلم.. في طريقه للمدينة.

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٠٢) والزوائد للبخاري.. والشطر الزائد لمسلم.